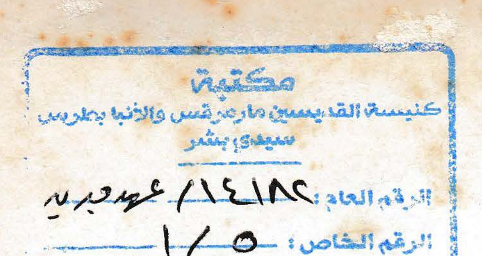




- ٨ -

تأملات في إنجيل القديس متى

للقديس يوحنا ذهبي الفم

الجزء الثاني

المعمودية والتجربة

ترجمة
عادل شفيق صليب
بملوي


إعداد

بكنيسة الملاك ميخائيل بدمنهور

من أقوال الآباء

- ٨ -

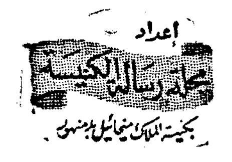
تأملات في إنجيل القديس متى

للقديس يوحنا ذهبي الفم

الجزء الثاني

المعمودية والتجربة

ترجمة
عادل شفيق صليب
بملوي

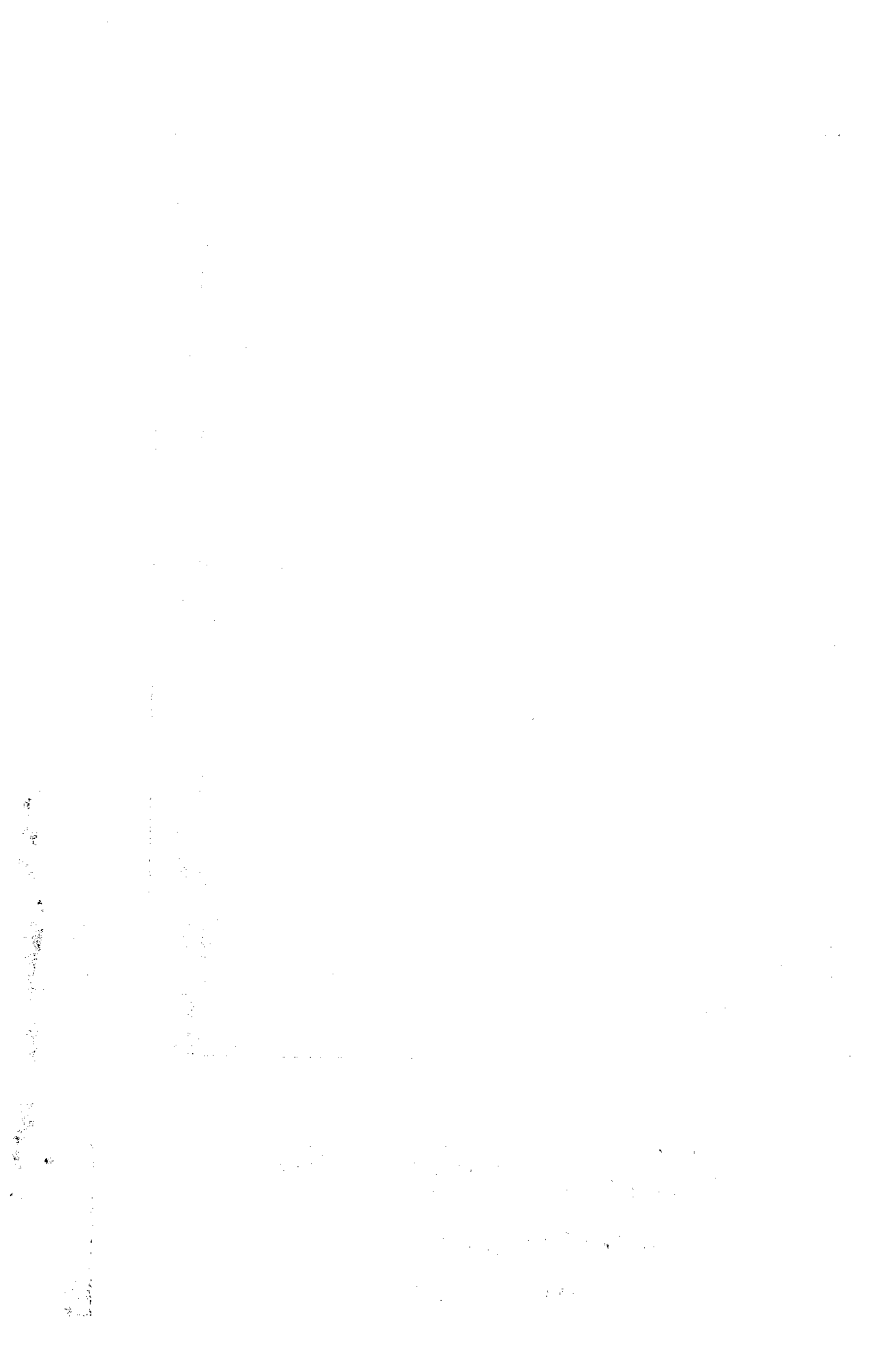




قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

البابا الـ ١١٧





نيافة الحبر الجليل الأنبا باخوميوس

أسقف البحيرة ومديرية التحرير ووادي النطرون ومحافظة مطروح

والخمس المدن الغربية

تقديم

يسر لجنة الثقافة القبطية بكنيسة الملاك ميخائيل بدمنهور ، أن تقدم الجزء الثانى من تأملات إنجيل متى للقديس يوحنا ذهبى الفم ، بطريرك القسطنطينية ، بعد أن صدر الجزء الأول و نفذ من المكتبات ، وقد نال إعجاب الكثيرين . .

ويتناول الجزء الثانى خمس تأملات عن يوحنا المعمدان وعماد السيد المسيح وصومه ، والتجربة على الجبل ، وبدء كرازة المسيح ، وهى تحوى تأملات روحية عميقة مع تفسير للنقط الغامضة ، والتى قد تخطر فى ذهن القارىء وتجعل فى فكره أسئلة واستفسارات كثيرة .. لذلك لم يترك القديس يوحنا مثل هذه الأمور الغامضة إلا وأعطى لها تفسيراً مقنعاً وإجابة مبسطة عميقة . .

وفى هذه المناسبة نقدم شكرنا الجزيل لصاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا باخوميوس ، الذى شجعنا على إصدار هذه الكتب النافعة ، مؤمناً برسالة الكنيسة فى الكرازة بشتى الطرق الممكنة ، بصلوات قداسة الحبر الأعظم ، العالم ، والمعلم البابا شنودة الثالث ، أدامهما الله بركة للكنيسة .

ولا ننسى أيضاً أن نقدم شكرنا للأخ الحبيب الخادم الأمين الأستاذ عادل شفيق صليب الذى قام بترجمة هـذا الجزء من مجموعة أقوال الآباء . . الرب يعوض تعبه فى ملكوت السموات .

ولربنا المجد الدائم إلى الآبد آمين .

القمص ميخائيل جرجس صليب

مقدمة

لنيافة الحبر الجليل
الأنبا باخوميوس
أسقف البحيرة ومطروح والخمس مدن الغربية

نحن نعيش فى عالم فيه متغيرات كثيرة ... متغيرات تسود العالم سياسياً وإقتصادياً وإجتماعياً ، ودخلت روح متغيرات العصر إلى ميادين الكنيسة فى بلدان كثيرة أيضاً ...

وظهرت حركات متعددة من أجل ما يسمونه « تجديد الكنيسة » Renewal of The Church » .. وكان لنا لقاء فى أحد المؤتمرات التبشيرية الذى إنعقد فى بانجوك (ديسمبر ١٩٧٢ — يناير ١٩٧٣) وكان موضوع المؤتمر « الخلاص اليوم » salvation To day ، وكانت لنا الفرصة أن نتحدث عن تجديد الكنيسة فى كنيستنا القبطية الارثوذكسية ، وكان رأينا أن تجديد الكنيسة الحقيقى هو أن نرجع بالكنيسة إلى العصور الاولى ... العصر الرسولى وعصر الآباء الاولين فى العمق الروحى ، والتدبير النسكى ، والفكر اللاهوتى .. فإن هذا يعطينا إنتعاشاً حقيقياً متأصلاً ، يعمق المؤمنين فى الروح ، ويجذب البعيدين إلى الإيمان ، وتكون رسالة الكنيسة الخلاصية فى كل يوم تزداد نمواً ، وتنصع نقاوة ..

وإن حركة ترجمة كتابات الآباء فى الكنيسة الآن لهو دعامة مباركة ، ولبنة ضرورية لنشر روح الفكر الآبائى القديم فى تاريخنا المعاصر الحديث .. يحمل إلينا هدف السلوك الروحى المسيحى وعمقه ، وفلسفة الفكر اللاهوتى الارثوذكسى وأصوله ، وإصباغ أبناء هذا الجيل بروح الآباء الاولين ..

ومن عظام القديسين الذين عاشوا بالروح ، وملأت تعاليمهم المسكونة

سواء كانت مكتوبة فى كتاباتهم أو عظاتهم ، القديس يوحنا ذهبي الفم ، الذى من حلاوة تعاليمه وعمقها أن لقبته الكنيسة « بفم الذهب » ، لان شفتيه صارتا تقطران دسما روحيا ، وكان بركة لكثيرين . .


القديس يوحنا ذهبي الفم

لقد كان يكتب بإرشاد الروح القدس ؛ وصارت كتاباته ولا تزال ذات فائدة لكثيرين . .

وهذا الكتاب الذى بين يديك أيها الأخ الحبيب هو ثمرة إيماننا بطريقتنا الأرثوذكسى لتجديد الكنيسة ، وتأثرنا بكتابات قديسينا واختباراتهم إعتزازنا بقديسنا العظيم يوحنا ذهبي الفم .

لذلك فإن هذا الكتاب هو ثمرة مجهود متواضع تقدمه فى محبة لجنة الثقافة القبطية بكنيسة الملاك ميخائيل بدمنهور ، راجين أن يجعل الرب ذلك الكتاب بركة وخلاص لكل من يقرأه ، ويعوض من له تعب فى إصداره ، بصلوات أبينا الحبيب قداسة البابا شنوده الثالث ، ولربنا المجد الدائم إلى الأبد آمين . .

الفصل الثامن

التأمل العاشر

يوحنا المعمدان

« فى هذه الايام جاء يوحنا المعمدان يبشر فى برية اليهودية قائلا : توبوا لانه قد اقترب منكم ملكوت السموات » (١).

كيف يقول فى هذه الأيام ، بينما قد مضى بين الاحداث الماضية وبشارة المعمدان ٣٠ سنة ؟

إن الكتاب إستعمل هذا الإصطلاح للدلالة على الأحداث البعيدة ، مثل قول السيد المسيح أثناء حديثه عن خراب العالم « حينئذ تتم هذه الامور (٢) » ... أى أنه بقوله « فى هذه الأيام » لا يعنى ما حدث بعد ذلك ، وإنما يعنى ما حدث فى الأيام التى جاء فيها المعمدان يبشر ..

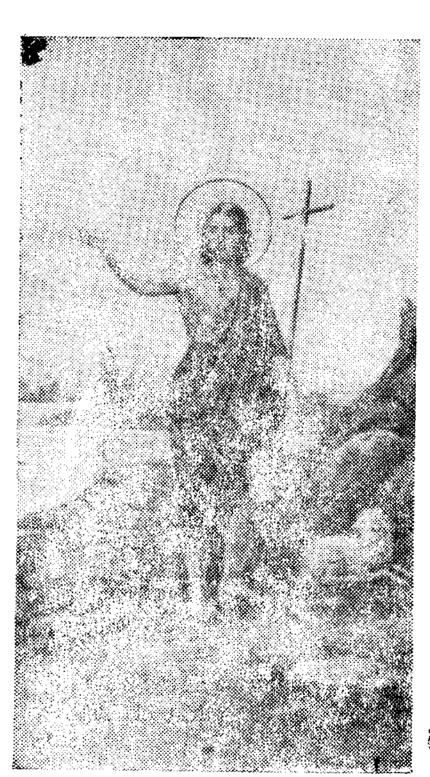
معمودية التوبة :

ما دام السيد المسيح قد جاء لكى يبطل معمودية التطهير ، فلماذا إعتمد ؟ .. لكى لا يقول الناس إنه لم يقدر على تنفيذ هذه الامور فألغاها !! .. لذلك كمل كل الناموس « لأنه يليق بنا أن نكمل كل بر » .

---

(١) — (مت ٣ : ١ و ٢) . (٢) — (مت ٢٤ : ٣٢) .

ملحوظة : العناوين الرئيسية والجانبية من وضع اللجنة ، وكذلك تقسيم الفصول . أما رقيم الصفحات الموجود على اليسار فهو تابع للجزء الأول .


يوحنا المعمدان

يقـول لوقا « كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا فى البرية ، فجـاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا [1] » .

وقال هو عن نفسه « إن الذى أرسلنى لأعمـد بالمـاء هو قال لى : الذى ترى الروح نازلاً عليه مثل حمامة ومستقراً عليه هو الذى سيعمد بالروح القدس [2] وقال أيضـاً « وأنا لم أكن أعرفه ، ولـكن لـكى يظهر لإسرائيل ، لذلك جئت لأعمد بالمـاء [3] » .

إن معمودية يوحنا كانت للتوبة ، أما معمودية المسيح فكانت لمحو الخطايا ، وكانت بإسم الآب والمسيح والروح القدس ، كما قال بولس « بل إغتسلتم ، تبررتم بإسم الرب يسوع وبروح إلهنا [4] » .

وقال أيضاً «يوحنا بشر بمعمودية التوبة قائلا للشعب أن يؤمنوا بالذى يأتى بعده أى المسيح يسوع [5] » .. وبالطبع أيام معمودية يوحنا لم تـكن هناك مغفرة خطايا ، لأن العداوة لم تـكن قد أزيلت ، ولم يكن المسيح قد مات بعد .

إن خطية اليهود كانت هى عـدم إحساسهم بالخطية . . كانوا متـكلين على برهم الذاتى . . كانوا متـكلين على أعمالهم وعلى النـاموس وعلى الهيكل وعلى أنبيائهم وتوراتهم . . . وعلى أنهم أولاد إبراهيم ، لذلك يقـول بولس الرسول « لأنهم كانوا يجهلون بر الله ، ويريدون أن يثبتوا بر أنفسهم ، لم ينالوا بر الله [6] » . . .

(١) — (لو ٣ : ٢و ٣) .
(٢) — (يو ١ : ٣٣) .
(٣) — (يو ١ : ٣١) .
(٤) — (١ كو ٦ : ١١) .
(٥) — أ ع ١٩ : ٤) .
(٦) —رو ١٠ : ٣) .

ويقول أيضاً، ماذا نقول أيضاً، إن الأمم الذين لم يسعوا للبر قد نالوا البر، لكن إسرائيل الذى سعى وراء ناموس البر، لم ينل بر الناموس.. لماذا؟.. لأنهم لم يطلبوه بالإيمان بل بالأعمال[1] ».

لذلك جاء يوحنا المعمدان فقط لكى يشعرهم بخطاياهم قائلا « إصنعوا أثماراً تليق بالتوبة[2] ».. لكى يجعلهم بالتوبة مشتاقين للمخلص الذى يخلصهم من خطاياهم، ولكى يجعلهم أكثر إتضاعاً وشعوراً بالحاجة إلى المخلص، ولكى ما يسرعوا فى طلب مغفرة خطاياهم.

ولكن كيف جاء يوحنا يبشر بمعمودية التوبة فى برية اليهودية « لمغفرة الخطايا »؟.. لأنهم إن لم يتوبوا، فلن تغفر لهم الخطايا، لذلك بشر يوحنا قائلا « أعدوا طريق الرب. إصنعوا سبله مستقيمة[3] »، وهذه تعنى « إصنعوا أثماراً تليق بالتوبة ». وهذا ما قاله يوحنا حسب بشارة لوقا « لأن كل واد يمتلىء، وكل جبل وأكمة ينخفض، والمعوجات تصير مستقيمة، والشعاب طرقاً سهلة. ويبصر كل بشر خلاص الله[4] ».

وفى هــذا كان يبشر برفعة المتضعين، وبتحول قسوة الناموس إلى سهولة الإيمان ونعمة الخلاص التى سيراها كل بشر.

وبقوله « تصير المعوجات طرقاً سهلة » كان يشير لخلاص كل العالم، لأن المعوجات هى طرق حياتنا الفاسدة... إذن فهو كان يقصد العشارين والزناة والخطاة والسارقين... وكل العالم.. كلهم سيتبررون ويدخلون ملكوت الله، وهذا ما قصده النبي أشعياء حين قال « الذئاب والحملان يرعون معا[5] ».

---

(١) — رو ٩ : ٣٠ و ٣٢).

(٢) — (مت ٣ : ٨).

(٣) — (مت ٣ : ٣).

(٤) — (لو ٣ : ٥و٦).

(٥) — (أش ١١ : ٦).

« ويوحنا كان يلبس وبر الإبل ، ومنطقة من جلد على حقويه[1] ، المعيشة القاسية تخلق الرجال . . معيشة الزهد والنسك تخلق الملائكة . . لذلك جاء يوحنا إلى العالم كملاك مبشر ، قادم فعلا من السماء ، لأنه حول البرية إلى سماء ! !

ضبط نفسه بعيشة الزهد ، ولما استطاع أن ينتصر على نفسه ، وأرهب الشياطين بقداسته ، إستطاع أن يرهب الناس .

ولكن لماذا كان يلبس منطقة من جلد على الرداء ؟

لقد كانت هذه هى عادة كل القديسين ، فلقد كان بولس يلبس هذه المنطقة ، كما يذكر عنه سفر الأعمال « الرجل الذى له هذه المنطقة سيربط هكذا فى أورشليم[2] » . وهكذا أيضاً بطرس[3] وأليشع[4] . . لانهم كانوا فى وقت العمل ، لان عادة أهل الزمان أن يلبسوا هذا الحزام حين يخرجون .

لذلك هم كانوا فى وقت العمل دائماً . . وهذا الامر هو فضيلة عظمى مدحها السيد المسيح « لانه ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا ؟ إإنساناً لابساً ثياباً ناعمة ؟ . . هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم فى قصـــور الملوك . . لكن ماذا خرجتم لتنظروا . . أنبيا ؟ . . نعم أقول لكم ، وأفضل من نبى[5] » .

فخرج إليه كل اليهودية وأورشليم وكل الكورة المحيطة بالاردن ، واعتمدوا

---

(١) — (مت ٣ : ٤) .
(٢) — (أع ٢١ : ١١) .
(٣) — (يو ٢١ : ٧) .
(٤) — (٢ مل ١ : ٨) .
(٥) — (مت ١١ : ٨) .

منه معترفين بخطاياهم . . إنظروا قوة التبشير التى جعلت كل هؤلاء الناس يخرجون إليه . . .

هذه هى الخدمة الممسوحة بالقوة . . لذلك خرجوا إليه ، وإعتمدوا منه معترفين بخطاياهم . . يجب أن نتنق من خطايانا قبل أن نقترب من مائدة الرب .

ليتنا نتعلم من يوحنا . . إنظروا إلى ملبسه وطعامه ومسكنه . . وإن كنت لا تستطيع أن تحيا فى النسك هكذا ، فعلى الاقل يجب أن تتوب عن خطاياك ، لان بولس يقول « قد تناهى الليل . وتقارب النهار ، فلنخلع لباس الظلمة ، ونلبس أسلحة النور(١) » .

من يقبل فليقبل ولا يتأخر . . لقد كملت العلامات ، وبشر بالإنجيل فى العالم كله « شهادة لهم » . . أى أنه لن ينتظر حتى يؤمن به كل العالم ؛ وإنما حتى يبشر به فى كل العالم . . شهادة على العالم ؛ وتوبيخ له وإدانة لمن لم يؤمن حتى الآن . . ليتنا نؤمن حتى نأخذ الا كاليل .

التوبة المثمرة :

والتوبة التى أعنيها ليست هى ترك الشرور الماضية فقط ، بل وعمل اثمار التى تليق بالتوبة(٢) . . إن تركت سرقة أموال الآخرين ، فيجب أن تعطى مالك الفقراء . . إن تبت عن الزنا ، فإمتنع عن امرأتك مدة من الايام . . إن كنت قد أهنت الآخرين ، فإحتمل إهانات الغير لك وباركهم . . لانه لا يكفى أن نقاوم أمراضنا ، بل يجب أن نأخذ فيتامينات لنسترد بها صحتنا . . إن كنت سكيراً ومحباً لشهوة الطعام ، فيجب أن تصوم ، وتشرب الماء بالكيل . .

(١) — (رو ١٣ : ١٢) . (٢) — (مت ٣ : ٨) .

إن كانت نظراتك شريرة فلا تنظر لإمرأة على الإطلاق ، لتحيا فى أمان ، لانه قيل « إترك الشر وإفعل الخير[1] » ... إن كان لسانك شريراً ، فكف عن الشر ، وإنطق بالخير أيضا .. إطلب السلام وإسع وراءه .. لا تطلب سلاما مع الناس فقط ، بل مع الله ومع نفسك أيضاً .. إترك الارض واطلب أن تحيا فى السماء .. إن كنت متكبراً فضع نفسك تحت أقدام الآخرين ..

الصبر والاحتمال :

ليتنا نلتزم بالصبر والإحتمال .. ونهتم بالصلوات حتى نأخذ .. وإن أخذنا شيئا فلنحافظ عليه .. لنهرب إلى الملجأ ...

ولماذا أوصيكم بالصبر والإحتمال ؟

لان النبى يقول « جيد يارب أنك أذللتنى[2] » ، والرب نفسه قال لتلاميذه « فى العالم سيكون لكم ضيق[3] » .. وبولس يقول « لقد أعطيت شوكة فى الجسد ، ملاك الشيطان ليلطمنى[4] » ، وقد طلب من الله أن يرفعها فرفض طلبه .. وإذا أردنا أن نعرف سر حياته المجيدة ، لوجدناه يفتخر بالضيقات !!

وأيوب ناله منها الشيء الكثير ... ويوسف أيضا ... ويعقوب ... وإسحق .. وإبراهيم ، وكل الذين تزجوا بتيجان ، توجوا فى الضيقات .. لانهم بالضيق والصبر ربحوا تيجانهم ، وكما يقول الجامعة « ليتنا لا نسرع فى زمن الضيق[5] » .

(١) — (مز ٣٤ : ١٤) .
(٢) — (مز ١١٨ : ٩) .
(٣) — (يو ١٦ : ٣٣) .
(٤) — (٢ كو ١١ : ٧) .
(٥) — (جا ٢ : ٢) .

التأمل الحادى عشر

الغضب الآتى

« وحين رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون الى معموديته قال لهم يا أولاد الأفاعى ، من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى (١) » .

لقد خرجوا إليه فى رياء ، دون أن يؤمنوا به . . إنهم أرسلوا إليه يسألونه : من أنت ؟ . . . وحين سألهم المسيح معمودية يوحنا من أين كانت ؟ . . قالوا فى أنفسهم : لو قلنا من السماء فيقول : فلماذا لم تؤمنوا به ؟ . . وقالوا ليوحنا : فلماذا تعمد ما دمت لست أنت المسيح ؟

أولاد إبراهيم :

لذلك أراد أن يكسر كبرياءهم بهذا القول « لا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أباً ، بل الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم » ، ثم هددهم بالغضب الآتى . . .

ولماذا قال عنهم « يا أولاد الأفاعى » ؟ . . لأنه يقال أن الأفعى تقتل أمها الحامل ، وتقتل الجنين الذى سيولد حتى لا يرى النور !! والفريسيين قيل عنهم أنهم قاتلوا الآباء والأمهات(٢) » .

ثم نصحهم قائلا « إصنعوا أثماراً تليق بالتوبة » ، لأنه لابد أن تكون هناك

---

(١) – (مت ٣ : ٧) . (٢) – (اتى ١ : ٩) .

فضيلة ، والذى عنده فضيلة يجب أن يتقدم فيها ولا يمكث فى مكانه .

« **الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم** » . . البعض يقولون أن الحجارة هى الأمم ، ولكن أقول معنى آخر هو أنه لا تظنوا أنكم إذا هلكتم فلن يوجد هناك أبناء لإبراهيم ، بل الله قادر أن يخلق أولاداً من العدم لإبراهيم؛ كما فعل فى بدء الخليقة إنه حين ينجب القلب القاسى أولاداً لإبراهيم . . فقد أنجبت القلوب الحجرية أولاداً لله بالفعل !!

أنظروا لإبراهيم أبيكم الذى أنجب بعد موت أبنائه . . إن هناك شيئاً أعظم من إنجاب أولاد لإبراهيم عن هذه الحجارة . . . وهو أن تكونوا أنتم أولاد إبراهيم . .

والبعض يرى أن فى هذه نبوءة عن قبول بنى إسرائيل الإيمان ، فهم ذوو القلوب المتحجرة . . . سيكون منهم أولاداً لإبراهيم فى نهاية العالم . . وهكذا نجده ينتزعهم من الإفتخار الجسدى ، إلى الإعتماد على الإيمان .

« **والآن قد وضعت الفأس على راس الشجرة** »

هنا يهددهم بقطعهم من أصل شجرة إبراهيم ، إذا لم يؤمنوا . . . فأس حاد مستعد للقطع . . إنه تهديد مزعج ، وأسلوب مخيف يستحقونه . . إن الفأس قد وضع على أصل الشجرة ، وليس عن الفروع ، ولا الثمار ، بل على الجذر . . لأن الآتى ليس هو نبياً ، ولا خادماً ، وإنما هو ملاك الطهر . . هو الرب نفسه !!

ومرة ثانية يعطيهم أملاً فى الخلاص ، كما قال لهم : إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم . . .

يقول لهم ثانية « إن الفأس قد وضعت » . . لم تمس الجذور بعد ولكن الوقت منذ الان مقصر . . . إنه لم يبدأ فى القطع ، ولكنه جعل القطع متوقفاً

عليكم أنتم ، فلو تبتم فإن الفأس سيترككم دون أن يفعل شيئاً . أما إذا لم تتوبوا فإن الفأس سيعمل ، ويقطع الشجرة من جذورها !!

هناك إنذار مخيف ، مع رجاء وأمل ...

« فكل شجرة لا تثمر ثمراً جيداً ، تقطع وتلقى فى النار » .. كلمة « فكل » هذه تعطى الأمل الكبير فى الخلاص ، وتعطى رجاء فى التوبة .. فإن كنتم حقاً أولاد إبراهيم ، وإن لكم حقاً آلاف من الآباء والبطاركة ، فستنالون عقاباً مضاعفاً إن لم تثمروا ...

وقد يسأل سائل قائلا : كيف للشجرة أن تثمر بسرعة هكذا بينما الفأس موضوعاً عليها ؟

إن هذه الشجرة ليست كباقى الأشجار مقيدة بالفصول والأزمنة والحرارة والمياه ، بل أنها تقدر أن تثمر فوراً بمجرد المشيئة والإرادة !!

حمل الله :

« أنا أعمد بالماء ، ولكن فى وسطكم قائم ، الذى سيعمد بالروح القدس ونار ، الذى لست مستحقا أن أحل سيور حذائه » .. حقاً لقد أتى بعدى ، ولكنه كان قبلى ، وهو أعظم منى بما لا يقاس !!

« هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم »

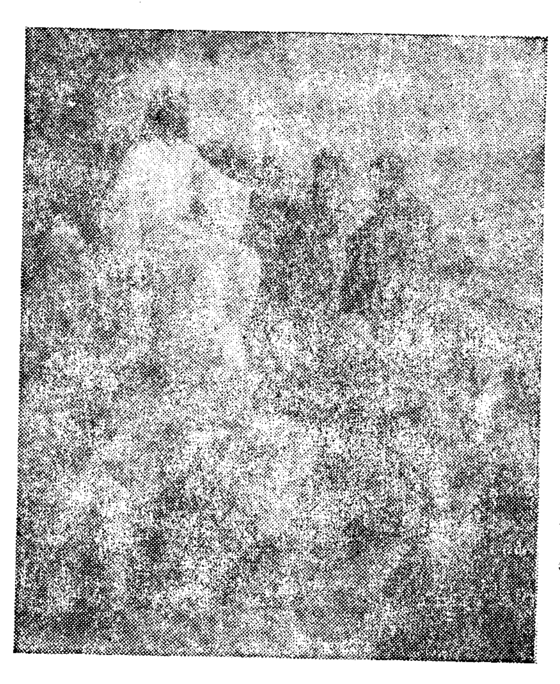
رغم أنى أحذركم من الفأس الموضوع على أصل الشجرة ؛ والنار الذى الذى ستوضع فيه الأشجار غير المثمرة ، إلا أنى أبشركم بحمل الله الوديع الذى يرفع خطية العالم ...

ولكن لا تستهين بذلك الحمل الوديع ، ولكن إعلم « أن رفشه فى يده ، وسينقى بيدره ، أما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ » ... لأنه كيف ننجو نحن إن

أعملنا خلاصاً هذا مقداره ؟ .. سوف يحرق عدم الطاعة والتمرد ..

ليتنا لا نكن تبنا ، بل لنكن قمحا ، ولنستمر قمحا .. ولكن إن كنت قمحا ، فاعلم أنك ستتعرض التجربة . فهو سينقى بيدره ، وستتعرض للضيق والألم والعواصف حتى تثبت ... إننا قمح بالحقيقة ، فيجب ألا نكون تبنا ، لئلا نتعرض لحريق بنار لا تطفأ !!

ولم يصف حمل الله بأى صفة غير « أنه هو الذى سيرفع خطية العالم » .. لم يتكل على معجزاته التى سيصنعها ، ولا عن قيامة الأموات ، ولا عن أمجاد السماء ، ولا عن أى شىء آخر ، لأن كل هذه البركات هى مذخرة لنا حين ترفع عنا خطايانا ...



ليتنا نكون حكماء ونحن فى الجرن ، لأن الفرصة ما زالت أمامنا لنتحول عن كوننا تبنا إلى قمح ... ليتنا لا نحمل بأى ريح مثل التبن ... لا نرتفع كالتبن ، لئلا نتبعثر فى الهواء ، بل كن متضعاً ثقيلا مثل القمح ، حتى تظل فى الجرن .. كن صلباً ثابتاً ...

المعمودية

« حينئذ أتى يسوع من الجليل الى الاردن[1] »

أتى يسوع إلى الأردن ليعتمد ... الرب مع العبيد ... القاضى مع المحكوم عليهم ... ولكن لا تضطرب أفكارك بسبب ذلك ، لأن رفعته قد أشرقت باتضاعه !!

لأن الذى رحمنا بولادته وتجسده من العذراء ، وضربه بالقصبة ، وصلبه واحتماله لكل الآلام ، رحمنا أيضا بمعموديته ... لأن العجيب فى الامر هو أمر واحد ، إن الله إتخذ جسد إنسان ، وكل شىء بعد ذلك كان نتيجة لهذا الأمر ..

ولكن لماذا منعه المعمدان من المعمودية أولا ، قائلا : أنا المحتاج أن أعتمد منك ، وأنت تأتى إلى ؟

ذلك لكيلا تظن أن المسيح أقل منه ، لذلك سبق وتنبأ عنه قائلا ، فى وسطكم قائم ، الذى لستم تعرفونه ، الذى لست بمستحق أن أحل سيور حذائه ، الذى رفشه فى يده ، وسينقى بيدره(٢) ، ... وأنه سيعمدكم بالروح القدس ونار ..

(١) — (مت ٣ : ١٣) .
(٢) — (مت ٣ : ١٤)

فكيف يأتى هذا القاضى ليعتمد المتوبة ؟ وليعترف بخطاياه كمذنب مثل باقى الخطاة(١) ؟

لذلك أراد المعمدان أن يبين أن يسوع أطهر منه قائلا « أنا المحتاج أن أعتمد منك » .. وبقوله أيضا « هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم كله » مظهراً أنه بلا عيب .

تكميل البر :

فماذا فعل يسوع ؟

أتذكر ما فعله مع بطرس فيما بعد ، حين رفض أن يدعه يغسل رجليه قائلا « لست تعلم الآن ما أنا أفعل ، ولكنك ستعرف فيما بعد » .. هكذا فعل مع يوحنا قائلاً « إسمح الآن ، لأنه يليق بنا أن نتمم كل بر » .. فأطاع فى الحال ..

لاحظ أيضا ما قاله « إنه يليق بنا » ولم يقل « يحق علينا » لانه لم يكن هو شخصيا محتاجا للمعمودية ، بل ليعلمنا أن بداية الطريق هو التوبة . . ولاحظ أيضا رقته فى قوله لعبده يوحنا « إسمح الآن . . و يليق بنا » ..

ولاحظ أيضا أنه لم يقل له « إسمح » على الإطلاق ، بل أضاف قائلا « الآن » ... لانك لن ترانى فى حالة الإتضاع هذه إلى الابد ، بل سترانى فى المظهر الذى تحب أن ترانى فيه . . ولكن الآن بسبب تدبير التجسد يلزمنا أن نتمم كل الناموس ، لذلك قال « نتمم كل بر » ، لان البر هو تتميم الوصايا . . وأنا جئت لأنزع اللعنة التى تسببت من التعدى على الوصية .

---

(١) — فى هذا الموقف كان المسيح يعتمد نيابة عن البشرية الخاطئة .

شهادة السماء :

« ولما صعد يسوع من الماء إنفتحت السماء ، ورأى الروح نازلاً ومستقراً عليه مثل حمامة(١) » .

كان ذلك لئلا يظن الناس أن يسوع أقل من المعمدان ، الذى عاش طول عمره فى الصحراء ، فى نسك وتقشف عظيم ، وكان إبن كاهن عظيم ، وولد فى بيت يعرفه كل الناس ، بينما كان يسوع يعيش فى بيت نجار ، وإبن لإمرأة فقيرة غير معروفة من الناس ، وولد فى مزود البقر ، ثم أتى ليعتمد من المعمدان ...

لذلك أرادت السماء أن تعلن عظمة يسوع ؛ فانفتحت السماء ، وأعلن الصوت الإلهى « هذا هو إبنى الحبيب » ... ولكى لا يظن السامعون أن هذا الإبن الحبيب هو المعمدان ، نزل الروح واستقر على يسوع مشيراً إليه ومعيناً إياه ، ومبيناً بأن هذا الصوت يخصه هو وليس المعمدان ...

قد يسأل أحد قائلاً : كيف يرى الناس هذا ولا يؤمنون ؟ أجيب : لأنهم فى أيام موسى رأوا عموداً وبروقاً وأصواتا ، وبعد قليل عملوا لأنفسهم عجلاً من ذهب ليعبدوه !!

حينما رأوه يقيم لعازر من الأموات لم يؤمنوا به ، بل فكروا فى قتله ، وقتل لعازر أيضا !!

أتتعجب بعد ذلك أنهم لم يؤمنوا به حين سمعوا الصوت ورأوا الروح مستقراً عليه مثل حمامة !؟

إن النفس حينما تمتلىء من الحسد وعدم الإيمان لا تتأثر بكل هذه المعجزات

---

(١) — (مت ٣ : ١٥و١٦) .



أما إذا آمنت فإنها تصدق كل هذه الأمور. هذا لكى ينطبق عليهم ما قاله أشعياء النبى « ماذا يصنع لكرمى ولم أصنعه(١) » ؟

لماذا إنفتحت السماء ؟

لكى يعرفنا أن هذا مايحدث لنا حين نعتمد ، فإن الله يفتح لنا السماء ، ويدعونا للمدينة السماوية فى الأعالى ، فلا تشغلوا إذن بالأرضيات . . .

الروح القدس :

« ونزل الروح عليه مثل حمامة » . . . لكى يعلمنا أيضا أنه فى المعمودية يحل علينا الروح القدس ، ولكنك لا تراه ؛ لأن الإيمان يكفى ، فالآيات ليست المؤمنين ، بل لغير المؤمنين(٢) »

ولكن لماذا ظهر الروح فى شكل حمامة ؟

١ — ذلك مثالاً للطهارة والوداعة ؛ فالروح وديع(٣) .

٢ — ولكى يذكرنا بحمامة نوح التى أتت بغصن زيتون علامة على حلول السلام ، وإنهاء عصر الطوفان ؛ ورمزاً لخلاص البشرية من الموت واليأس . فكان ظهور الروح فى شكل حمامة نبوة عن الأمور التى ستحدث شبيهة بما حدث فى القديم .

٣ — وكان بشارة مفرحة لكل العالم بخلاصه من عبودية الموت بدم الحمل .

٤ — وكان إشارة إلى تجديد الخليقة .

ولكن الحمامة لم تظهر لنا حاملة غصن زيتون فى فمها ؛ لكنها حملت نعمة التبنى والشركة لكل العالم . .

---

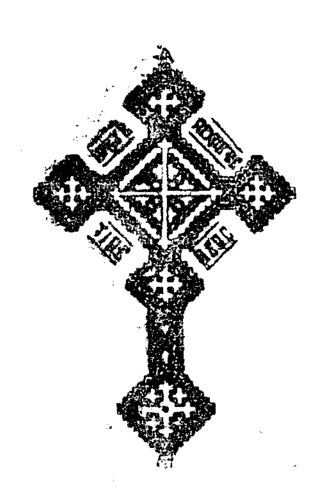
(١) — (أش ٥ : ٤) . (٢) - (١ كو ١٤ : ٢٢) .
(٣) — (غلا ٦ : ١) .

ولكن لا تظن أن الروح القدس أقل من المسيح بمقدار الفارق بين الحمامة والإنسان ، لأنه ظهر فى شكل حمامة ، بينما المسيح أخذ طبيعة إنسانية ، فتظن أن الفرق شاسع بين الروح القدس والمسيح ... ولكن إعلم أن إبن الله تجسد وأخذ طبيعة الإنسان ، بينما الروح القدس لم يتجسد فى طبيعة الحمامة ، بل أخذ شكل الحمامة ...

المعمودية الجديدة :

وهكذا أبطلت السماء معمودية اليهود لتحل محلها المعمودية المسيحية .. إعتمد المسيح ليتمم كل بر ، ثم ليعلن بدء المعمودية الجديدة ، كما أكمل شعائر الفصح فى ليلة الصليب ؛ ثم وضع سر الشكر الجديد ... تمم العهد القديم : ليبدأ العهد الجديد . كما يجب أن نلاحظ أن سر المعمودية هو الذى يجعلنا أطهاراً ، وليس طهارة الذى يقوم بالمعمودية ..

ليتنا نحفظ هذا الميلاد النبيل الذى أخذناه بالمعمودية ، وليتنا نطلب كل يوم المدينة السماوية ، ونعتبر أننا هنا فى ظلال وفى حلم ، فنتقدم ونطلب العتيدة ، لأنك كنت شحاذاً فقيرا ، فأصبحت فجأة إبناً لله !!



التأمل الثالث عشر

التجـــربـــة

« حينئذ اصعد يسوع بالروح الى البرية ليجرب من ابليس[1] » .

حينئذ . . ومتى ؟

حدث هذا بعد حلول الروح القدس ، وبعد الصوت الذى أتى من السماء قائلا « هذا هو إبنى الحبيب الذى به سررت » ، والأعجب من ذلك أن الذى قاده ليجرب هو الروح القدس ، لأن الكتاب يقول فى هذا الصدد « أنه أقتيد بالروح » ، لأنه يريد أن يعلمنا أنه فعل كل شىء ، وأختبر كل شىء . .

لقد أختبر مواجهة الشيطان من أجل أولئك الذين أعتمدوا ، حتى إذا ما جاز أحد المعمدين تجارب كبيرة لا يضطرب ، كأنه يرى نتيجة لم يتوقعها ، بل يستمر فى إحتمال كل التجارب بنبل وشجاعة كأنه يحتمل أمراً طبيعياً .

نعم إن الله لم يعطنا الأيدى لتبقى بلا عمل ، بل لنحارب بها ، لذلك لم يمنع الله إتيان التجارب ليعلمنا :

أولا — أننا أصبحنا أقوى من الأول .

ثانياً — لكى تستمر فى إتضاعك ، لئلا يرتفع قلبك بسبب عظم المواهب الذى أخذتها ، لذلك فالتجارب تقهرك وتشعرك بضعفك .

ثالثاً — حتى يظن ذلك الشيطان الشرير الشكاك أن الله قد تركك فيخفف من حربه عليك .

رابعاً — لأن التجارب تقويك ، وتجعلك أكثر صلابة من الصلب نفسه .

---

(1) — (مت ٤ : ١) .

لأن الشيطان لا يتركك أبداً وهو يراك تتقدم فى الكرامة . . فهو فى البدء الذى هاجم آدم لأنه رآه يرتفع بكرامة عظمة ، وتجند أيضاً لمحاربة أيوب لأنه رآه متوجا ومعروفاً لدى الله خالق الكل .

فكيف يقول إذن « صلوا لئلا تدخلوا فى تجربة »(١) .

لهذا السبب وضح لنا الكتاب أن يسوع أقتيد إلى البرية ليجرب ، ولم يذهب هو من تلقاء نفسه ليدخل فى التجربة ، لكى نتعلم أننا يجب ألا نواجه التجارب من تلقاء أنفسنا ، إذا فرضت علينا .

فى البرية :

كما أننا يجب أن نلاحظ المكان الذى أقتيد ليجرب فيه . . فهو لم يجرب فى مدينة ، بل فى برية . . لأن يسوع إذا كان فى نيته أن يهاجم الشيطان ، فقد أعطاه الفرصة لمهاجمته ، منتهزاً ، ليس فرصة جوعه فقط ، بل أيضا فرصة وجوده فى برية !!

فالشيطان يهاجم الإنسان حينما يجده منفرداً مع نفسه ، أليس هو الذى حارب حواء فى الجنة حينما كانت وحيدة وليست مع آدم !!

فحينما يرانا الشيطان مع آخرين لا يحاربنا لئلا ننال منهم المعونة ، فلنترابط مع بعضنا جميعاً ، ولنأخذ بركة وجودنا فى وسط الجماعة ..

إن هذه هى بركة التواجد فى الكنيسة . . فى وسط جموع المؤمنين ، لا يجد الشيطان أى ثغرة ينفذ منها إلينا . .

الصوم :

حينما رأى الشيطان يسوع وحيداً فى برية قفرة . . فقد ذكر مرقس انه كان مع وحوش البرية(٢) ، إقترب منه بكل مكر وخبث وشر ، منتهزاً فرصة جوعه !!

---

(١) — (مت ٢٦ : ٤١) . (٢) — (مر ١ : ٢١) .

لاحظوا أنه لم يقترب منه وهو صائم ، بل وهو جوعان ، لـكي يعلمنا كم كان صومه عظيما ورائعا ؛ وأنه درع قوى ضد الشيطان ، وأنه بعد المعمودية يجب الا يستسلم الإنسان للراحة والشرب والأكل ، بل للصوم .

فإن يسوع صام رغم أنه لم يكن محتاجاً للصوم ، لـكي يعلمنا هذا الدرس ، لأن خطايانا قبل المعمودية كانت تتغذى على شهوة بطوننا ، فبعد أن صرنا أصحاء بالمعمودية ، يجب أن نمتنع عن شهوة البطن ، لئلا يرجع الداء . . .

فإننا نرى هنا أن يسوع نفسه بعد المعمودية صام . لأن آدم قد طرد من الفردوس بسبب شهوة البطن ، وبسببها أتى الطوفان أيام نوح ، وأمطرت السماء ناراً وكبريتاً على سدوم وعمورة ، فقد أشار حزقيال لذلك بقوله :

« بل هذا هو إثم سدوم الذى تزايد بسبب الكبرياء ، والشبع من الخبز ، وزيادة الرفاهية[1] » . . . واليهود أيضاً تزايدوا فى الشر والإثم بسبب كثرة الشرب والتلذذ !!

أربعون يوما :

لهذا السبب صام طبيب نفوسنا أربعين يوما . . . لاحظوا أنه لم يصم أكثر من ذلك ، لأن موسى وإيليا قد سبقاه فى صوم هذه المدة ، ولأنه لو كان قد صام أكثر من ذلك لعد عمله خارقاً للطبيعة الإنسانية ، ولما إقتدى به أحد ، على إعتبار أن صومه هذا لا يمكن لإنسان آخر أن يصومه . .

أما وقد صامه موسى وإيليا بقوة الله ، فقد اعتبر صومه هذا فى مقدور البشر ، لذلك لم يرد أن يتجاوز هذه المدة ، التى تعتبر أقصى حدود البشرية فى الصوم .

---

(١) – (حز ١٦ : ٤٩)

« ثم جاع أخيراً » . . .

ليرينا أنه كان تحت الآلام مثلنا ، ولكى يعلمنا كيف يمكن الإنسان أن ينتصر وهو تحت الآلام ، وهكذا جعل الشيطان يعرف أنه جوعان ، حتى إذا وجد الفرصة سانحة لمواجهته ، يجد هو الفرصة لغلبته، لا مرة واحدة ، بل مرتين وثلاث مرات . . حتى إذا ما هاجمنا الشيطان ، نجد نحن هذه الفرصة أيضاً لغلبته !!

ابن الله :

« ولما جاع إقترب منه المجرب قائلا : إن كنت إبن الله فحول هذه الحجارة خبزاً » . . ..

ذلك لأنه سمع صوتاً من الأعالى يقول عنه « هذا هو إبنى الحبيب » . . . ولأنه سمع شهادة يوحنا المعمدان عنه بأنه هو المسيح ، ثم بعد ذلك يجده جائعاً . . . لقد وقع فى الحيرة ، ولم يستطع أن يقرر أنه إنسان عادى بسبب سماعه هذه الأمور العجيبة عنه ، وفى نفس الوقت لم يستطع أن يؤمن بأنه إبن الله ، لأنه وجده جائعاً !! ولكونه فى حيرة تكلم كلاماً مبهما . .

لأنه حينما جرب آدم فى البداية ، إبتدع أشياء لا وجود لها ، لكى يعرف الأمور الحقيقية ، وهكذا فعل هنا مع المسيح ، فلأنه لا يعرف سر هذا التدبير بوضوح ، وليس له علم فى الأمور المستقبله ، حاول أن ينسج شبكة بكلامه هذا ليعرف الأمور المخفية عنه فقال « إن كنت إبن الله ، فحول هذه الحجارة خبزاً » .

لاحظوا أنه لم يقل له « حول هذه الحجارة خبزا بسبب جوعك » ، بل

« إن كنت ابن الله » ظناً منه أنه يمكن أن يخدعه بهذا الثناء ، دون أن يشير إلى جوعه ، لأنه كان يجهل عظم هذا التدبير ، فظن أنه يمكنه أن يقترب منه بهذه الطريقة . . . يمدحه بخبث حتى يعرف منه أى شيء !!

هلم معى لنرى بماذا أجاب السيد المسيح ؟ . . لكى يرد سهم مديح الشيطان ولا يقبله ، ولكى يظهر أنه لم يحدث شيء مخزى غير لائق بحكمته حينما يشعر بالجوع ، حيث أن الشيطان أراد أن يتملقه بخبث ، وكأنه يريد أن يقول له : إن كنت إبن الله ، فكيف يتركك الله تموت هكذا جوعاً ؟ ! . . أليس فى هذا مساس بذاتك الإلهية أن تشعر بالجوع ؟ !

ليس بالخبز وحده :

لذا أجاب السيد المسيح بحكمة قائلا « ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان » ، وبذلك حطم كل سهام الشيطان الملتهبة .

أرجوك أن تلاحظ هنا كيف أن الشيطان المحتال إنتهز فرصة ضعف الجسد ليبدأ المهاجمة بنفس الطريقة التى هاجم بها الإنسان الأول ، ثم أحاطه بآلاف من الشرور الأخرى بعد سقوطه ، لذا نجده يحارب السيد المسيح بنفس الوسيلة الماكرة مبتدئاً بجوع المعدة .

فنحن نرى آلافاً من الناس يقولون كلاماً رديأ بسبب بطونهم ، ولكن يسوع لكى يرينا أن الإنسان الفاضل لا يكون مستعبداً لهذا الداء ، لدرجة تضطره أن يفعل شيئاً غير لائق .

لذا ، فرغم أنه كان جائعاً لم ينقاد لمن يريد ... يمتعه ، معلماً إيانا ألا نطيع الشيطان فى شيء ، ولأن الإنسان الأول عصى الله وكسر الناموس ، لذلك أراد أن يعلمنا أنه لا توجد وصية يتعذر علينا تنفيذها .

لاحظوا أيضا قوله « ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان » فهو يعنى هنا أن الله

قادر أن يحي الإنسان الجائع ، حتى يعلمنا أنه حتى لو كنا جوعانيين . فيجب ألا نترك إلهنا بل نحتمل . . .

ربما قائل يقول : أنه فعل ذلك بقصد التظاهر ! !

ولكن أقول له : لأى سبب يتظاهر ، وما هدفه من هذا ؟ ألا تعلم أن اليهود حينما طلبوا منه آية من السماء رفض أن يصنع لهم آية ؟ ! لأنه لا يحب التظاهر ! !

إنه قصد من ذلك أن يعلمنا أنه حينما تكون لنا قوة أو موهبة إلهية . فيجب ألا نستغلها فى عمل أشياء باطلة ، ويجب ألا تطيع الشيطان فى أى شىء .

التجربة الثانية :

وبعد هزيمة هذا اللعين وفشله فى إقتناع المسيح بتنفيذ أمره ، وبعد فشله فى إستغلال الجوع ، جرب سلاحا آخر ، فقال له « إن كنت إبن الله ، فإطرح نفسك إلى اسفل ، لأنه مكتوب أنه يرسل ملائكته ، وعلى اياديهم يحملونك » لاحظوا أنه يكرر القول « إن كنت إبن الله » ثانية . . ربما ظن أنه قد يمكنه أن يعرف شيئا عن عظمة المسيح فى هذه المرة .

فكما ادعى لآدم وحواء ان الله خدعهما ، لأنه يوم ان يأكلا من الشجرة تنفتح اعينهما وبصيران كالله » ، وهكذا يقول للمسيح انه باطلا يدعونك بابن الله ، وإلا فاظهر قوتك بأن تلقى نفسك من فوق ، ولا يصيبك ضرر !!

لا تجرب الرب إلهك :

ولكن يسوع كان يرد عليه بالمكتوب ، لذا رد عليه ايضا قائلا « مكتوب لا تجرب الرب إلهك » .

ورد هكذا دون أن يغتاظ أو يغضب ، بل بمنتهى الوداعة والإحتمال ، لكى يعلمنا أننا نستطيع أن نغلب الشرير ، ليس بفعل المعجزات ، بل بالإحتمال وطول الأناة . .

وأنه يجب علينا ألا نعمل شيئاً لمجد الباطل أو بدون لياقة، ولكن لاحظوا هنا حماقة إبليس فى إستخدامه المكتوب ، لأن القول الذى أورده عن أن الله يوصى ملائكته بك ، لم يكن نصيحة لأحد حتى يرمى بنفسه من أعلى ، وتعهد من الله بأن يحميه ، بل كان هذا الكلام مع إبن الله يعتبر وقاحة شديدة ، لأن الذى ألقى بنفسه من أعلى لأسفل هو الشيطان نفسه ، ومن سقط معه من الملائكة والبشر . .

أما عمل ابن الله فهو إقامة الذين سقطوا . وإن كان يريد إظهار قوته فهو لا يظهرها بإلقاء نفسه من أعلى لأسفل ، بل إنقاذ الساقطين . .

والسيد المسيح حتى هذه اللحظة لم يكشف ألوهيته ، ولكن كإنسان قال لإبليس « لا تجرب الرب إلهك » وكأنه واحد من البشر .

التجربة الثالثة :

ولكن إبليس فى عمى قلبه لم يفهم من الضربتين الأوليتين أنه أمام الله ، وإنما غير شكله وحاول أن يوجه ضربته الأخيرة نحو منع الفداء الذى كان المسيح مزمعاً أن يتممه لخلاص البشرية .

وإقتاده إلى جبل عال ، وأراه جميع ممالك العالم ، وقال له « أعطيك هذه كلها إن خررت وسجدت لى » . . وكأنه يريد أن يقول للمسيح : لا تتعب نفسك كثيراً من فداء العالم . . . أسجد لى ، وخذ كل شيء بسهولة !!

للرب الهك تسجد :

هنا يخطىء إبليس فى حق الآب ، جاعلاً نفسه إلهاً معبوداً مدعياً بأنه

إستطاع أن ينتزع السيادة من الله على العالم كله ، وأنه باستطاعته أن يتصرف فى العالم كما يشاء ، ويملك عليه من يشاء !!

لذا إنتهره السيد المسيح بلطف ، ولكن فى لهجة آمرة قائلا « إذهب عنى يا شيطان . للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد » .

وفى قوله « إذهب عنى يا شيطان » أجبر الشيطان على الفرار من أمامه ، فلم يقدر أن يجربه تجربة أخرى . . .

أما عن قول لوقا « بأنه أنهى كل تجربة[1] » فإنى أعتقد أنه يقصد أنه أنهى التجارب العظيمة التى تندرج تحتها التجارب الأخرى لأن معظم الشرور تخرج من كون الإنسان عبداً لبطنه ، وأن يعمل شيئاً من أجل الباطل ، أن يمتلكه جنون محبة الغنى .

بركات التجربة :

فما هى الدروس التى أراد السيد المسيح أن يعلمنا اياها من هذه التجارب ؟

ما دمنا محتمين بالله ملجأنا فيجب الا نخشى من جوع ، لاننا نؤمن أن الله قادر أن يطعمنا بكلمته ، وإذا رأينا الذين أعطاهم الله ، فيجب ألا ندخل فى التجربة بسبب ما أعطاهم[2] إياه ، بل نفرح بمجد الله الذى ظهر فيهم ، متعلمين كيف نحتقر كل ما يزيد عن حاجاتنا ، لانه لا شىء يسقطنا تحت سطوة إبليس ، قدر الطمع ، ورغبتنا فى المزيد .

ثم يقول لوقا « إنه فارقه إلى حين » . . لكى يرينا أنه اقترب منه بأسلحته المناسبة ، فى الوقت المناسب .

---

(١) — (لو ٤ : ١٣) .
(٢) — أى لا نحسدهم .

« وإذا بملائكة جاءت لتخدمه »

لأنه حينما كان الشيطان حاضراً ، لم يسمح يسوع للملائكة بالظهور ، لكى يظفر بالفريسة وحده ... وبعد أن انتصر عليه وهزمه وأجبره على الفرار ، سمح للملائكة بالظهور ، لكى يعلمنا أنه بعد نجاحنا فى التجربة تتلقانا الملائكة فتحرسنا فى كل شىء ، كما حملت الملائكة لعازر المسكين معهم ، بعد أن اجتاز أتون الفقر والجوع والمرض .

وإنى أستطيع أن أقول أن المسيح إختبر كل شىء يمكن أن يحدث لنا ... فإذا حدثت لك كل هذه الأمور ، فاقتدى بانتصار سيدك ؛ وإذا إقترب منك أى روح شرير متملقاً إياك بقوله « إن كنت عظيماً فحرك هذا الجبل » فاجبن باتضاع كما فعل سيدك قائلا « لا تجرب الرب إلهك »

وإذا عرض عليك إبليس المجد والسلطان والثروة لكى تسجد له فلا تفعل فهو لا يجرب الذين فى البرية أو الجبال وحدهم ، ولكنه يجرب الذين فى المدن ؛ والذين فى الأسواق ؛ والذين فى أماكن العدل أيضاً ...

فلا تصدقه ولا تعيره أذنك ، وأمقت مديحه ، لأنه حين رفع حواء بالرجاء لكى تصير مساوية لله ، أسقطها إلى الأرض ، وسلط عليها شروراً كثيرة ! !

فإننا فى حرب مستمرة معه ، فلنطرده ، لا بالأقوال وحدها ؛ بل بالأفعال أيضاً ... وليس فى الفكر وحده ، بل بالعمل أيضاً ...

ولا نفعل شيئاً مما يعرضه علينا ، لأننا نفعل ما يريده الله فقط ... ولا تصدق وعوده الكاذبة بأنه يعطينا شيئاً ، لأنه يأخذ ولا يعطى ، ففى الوقت الذى يعطينا شيئاً أرضياً ، يأخذ منا شيئاً سمائياً ... فهو يعدنا بكنوز الأرض ، لكى يحرمنا من كنوز السماء .. ويعدنا بممالك الأرض ، لكى يخرجنا

من مملكة المسيح ... ويعدنا بالغنى على الأرض ، لكى نحتاج هناك !!

مثال ايوب :

وإن لم يقو علينا بتجربة الغنى ، يأتينا بطريق آخر هو الفقر ، كما فعل مع أيوب .. فلما وجد أن الغنى لم يؤذه ، أنشب فيه أظافر الفقر ، ظاناً أنه بهذا يمكنه أن يؤذيه ..

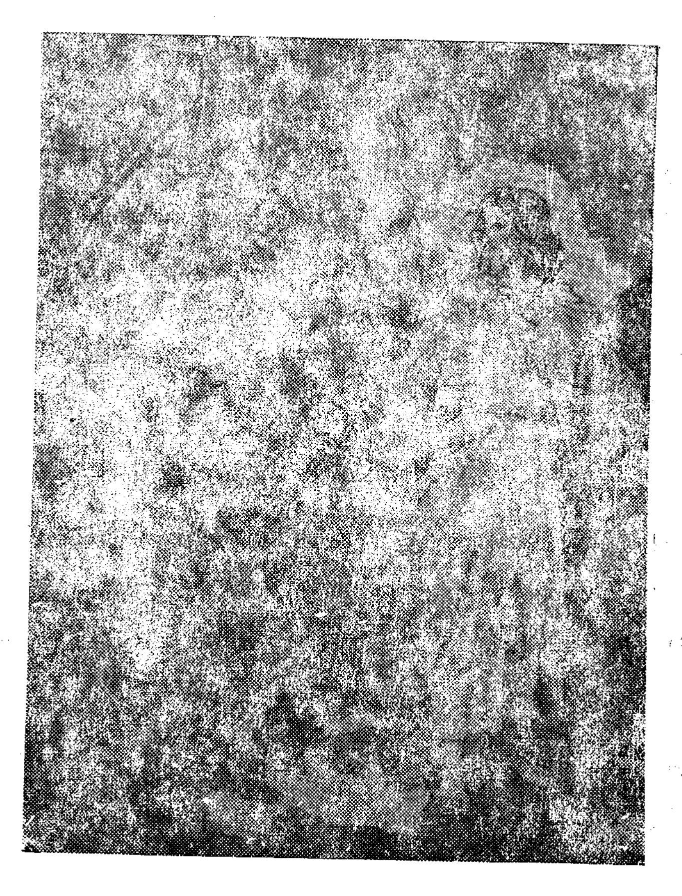
ولكن ما أغباه .. لأنه إذا كان الغنى لم يطغ أيوب ، ولم يحرمه فضيلة التواضع ، فكيف للفقر أن ينزع عنه تواضعه ؟ ... ومن لم يطمع فى المال وهو غنى ، فكيف يجرى وراءه وهو فقير ؟!

ولكن أيوب كان عظيما فى فقره ، كما كان عظيما فى غناه ، لأن إبليس ، إن كان قد أعطى سلطانا عليه لإذلاله ، ولكنه لم يستطع أن ينتزع حبه لله ، بل بالفقر زاد حبه أكثر ، مما جعل إبليس يتعجب، لأنه بقدر ما أذله . إزدادت عظمته !!

فلما فرغت جعبته من السهام ، إذ به يهرع لصديقته القديمة المرأة ، لكى تعينه على هذا الرجل العجيب .. فتقدم له زوجته نصيحتها المميتة « بارك الله ومت !! » .

ولا بهذا أيضا إستطاع أن ينتصر عليه ، لأنه بفمه المملوء حكمة أسكت الشيطان المتكلم على لسانها !!

من هذا نتعلم أن إبليس قد يوجه إلينا سهامه على لسان أعز الناس لدينا .. الزوجة .. الأولاد .. الوالدين .. الأصدقاء .. وفى هذه الحالة يغير شكله فى شكل محب ، ويخفى صوته فى صوت من يقدم المشورة ، فتكون كلماته الحانية أقوى من السم !!



لأن من يدحك للشر ، فهذا هو الشيطان . . . وأما من يؤدب للبر ، فهذا هو الله . . فلا نسعى إذن للحياة السهلة ، لأن « من يحبه الرب يؤدبه ، ويجلد كل إبن يقبله[1] » .

بل إذا كنا فى يسر نعيش فى الشر يجب أن نحزن ، لأنه يجب أن نخاف إذا فعلنا الشر . .

(١) — (عب ١٢ : ٦) .

الفصل الثالث عشر

التأمل الرابع عشر

كرازة المسيح

« ولما سمع يسوع أن يوحنا أسلم ، ذهب إلى الجليل[1] »

لماذا رحل ؟

لكى يعلمنا ألا نواجه التجارب، بل نهرب منها مادام ذلك ممكنا ، لأن الهروب ليس عيبا ، ولكن السقوط هو العيب ، ولكى يتجنب حسد اليهود لذا عاد إلى كفر ناحوم لكى تتم النبوة « ما قيل بأشعياء النبى القائل: أرض زبولون وأرض نفتالين طريق البحر عبر الأردن جليل الامم . الشعب الجالس فى الظلمة أبصر نوراً عظيما والجالسون فى كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور[2] » .

وأيضا لكى يلحق بالعاملين الموجودين هناك . . ولكن أرجوك أن تلاحظ إحتجاج اليهود عليه حين ذهب للأمم ، وذلك لكى يرينا أنه لم يأت لليهود فقط، بل لكل الأمم . . لذلك قال النبى عنها « أرض نفتاليم طريق البحر عبر الأدن جليل الأمم ، الشعب الجالس فى الظلمة أبصر نوراً عظيما(٣) » .

والظلمة هنا تعنى الضلال والشر ، لأنه لقبهم « بالجالسين فى ظلال الموت» . . لاحظوا أنه يقول « أشرق لهم نور عظيم . أى نور حقيقى . .

---

(١) — (مت ٤ : ١٢) .

(٢) — (مت ٤ : ١٤) و (أش ٤ : ١ و ٢)

(٣) — (مت ٤ : ١٥ و ١٦) .

لاحظوا أيضا أنهم لم يبحثوا عن النور حتى وجدوه ، بل إبن الله هو الذى أظهر لهم نفسه ، لذلك قال « أشرق عليهم نور »... لقد عاشوا فى الظلمة قبل مجىء السيد المسيح ، ولم يكن لهم أمل فى الخلاص .

التوبة :

« فى ذلك الوقت إبتدأ يسوع يبشر ويقول « توبوا لأنه قد إقترب منكم ملكوت السموات[1] » .

يقول « فى ذلك الوقت » .. أى وقت ؟ ... بعد أن أسلم يوحنا .. ولماذا لم يبشر فى البداية ؟

وما فائدة أن يسبقه يوحنا ما دامت أعماله تشهد له ؟ :

١ ـــ ذلك لكى يرينا عظمته كواحد مع الاب لذا فإن له أنبياءه كالآب ، لذا نطق زكريا بالروح القدس عن يوحنا قائلا : « وأنت أيها الصبى نبى العلى تدعى[2] » . حتى لا يترك فرصة أمام اليهود الذين لم يستحوا أن يعترضوا عليه هو نفسه بقولهم « هذا إنسان أكول وشريب خمر(٣) » ؛ لذا كان من اللازم أن يشهد عنه آخر سابق عليه .

٢ ـــ ولأنه حين شهد هو نفسه قالوا « أنت تشهد لنفسك ، شهادتك ليست حقا[4] » .

٣ ـــ وهناك سبب آخر جعله لا يبشر ويعمل معجزات إلا بعد سجن يوحنا ، ذلك أنه لم يرد أن تحتار الجموع بينهما وتنقسم بسببهما ، لأن المعمدان لم يفعل أى معجزة على الإطلاق ، وربما كان ذلك لكى تنجذب الجموع ليسوع ، بل أن

---

(١) ـــ (مت ٤ : ١٧)
(٢) ـــ (لو ١ : ٧٦) .
(٣) ـــ (مت ١٠ : ١٨ و ١٩)
(٤) ـــ (يو ٨ : ١٣) .

تلاميذ يوحنا بعد ما أسلم وسجن غاروا له من المسيح . لأن أحداً من الجموع لم يكن يتوقع أن يسوع هو المسيح ، بل كانوا يظنون فى يوحنا أنه هو المسيح . فماذا كان يحدث إذن لو بدأ يسوع خدمته ويوحنا ما زال يبشر ؟!

لذلك أوضح متى البشير هذه النقطة بقوله « ومن ذلك الوقت إبتدأ يسوع يبشر[١] » .

بشارة مفرحة :

وحين بدأ يسوع يبشر لم يزد على الكلمات التى كان يبشر بها يوحنا ، ولم يشر أية إشارة إلى نفسه ، بل إقتصر على قوله « توبوا لأنه قد إقترب منكم ملكوت السموات[٢] » .

لاحظوا أنه لم يضع وصايا قاسية على الناس ، ولم يهددهم بنار لا تطفأ ودود لا يموت ، ولا بفأس يوضع على أصل الشجرة ، بل كانت بشارته مفرحة .. كان يبشر سامعيه باقتراب ملكوت السموات .

دعوة بطرس واندراوس :

« وحين كان ماشياً على بحر الجليل ، رأى سمعان الملقب بطرس ، وأخوه إندراوس يلقيان شباكهما فى البحر لأنهما كانا صيادين ، فقال لهما هلما ورائى فأجعلكما صيادى الناس فتركا الشباك وتبعاه[٣] »

وقد حدثنا يوحنا عن لقاء آخر سابق بين هذين الأخوين ويسوع قبل أن

---

(١) — (مت ٤ : ١٧) .
(٢) — (مت ٤ : ١٧) .
(٣) — (مت ٤ : ١٨ و ١٩) .

يسجن يوحنا ، إذ قابله إندراوس وقبله فى بيته وإستمع إليه ، ثم إندراوس دعى بطرس ؛ وبمجرد أن رآه الرب يسوع قال له « أنت سمعان بن يونا ، أنت تدعى صفا أى صخرة[1] » .



دعوة بطرس وإندراوس

---

(١) — (يو ١ : ٤٢) .

وبعد أن أسلم يوحنا ورآهما يسوع على بحر الجليل كان قلباهما مستعدان لطاعته ، لأنهما عرفاه وجلسا معه ورأوا معجزاته ؛ فبمجرد أن دعاهما الرب يسوع لتبعيته ، أطاعا فى الحال . . .

الطاعة والايمان :

لاحظوا هنا إيمانهما وطاعتهما ، لأنهما كانا فى وسط البحر يصطادان حين سمعا دعوته فلم يتأخرا لحظة ، ولم ينظرا حتى ينتهيان من الصيد ، ولم يستشيرا أقربائهما !!



دعوة يعقوب ويوحنا

من هنا نتعلم أن نتبع المسيح بلا تأخير ، فإن الذى طلب من يسوع مهلة حتى يدفن أباه ؛ لم يسمح له أيضاً ، فإن الذين يؤمنون بكلمته ويطيعوها ، تكون لهم القدرة على إصطياد آخرين أيضاً ...

لقد وعد بطرس وإندراوس بأن يكونا صيادى النـــاس ، أما يعقوب ويوحنا فلم يعدهم بشيء ، ذلك لأن طاعة بطرس وإندراوس مهدت الطريق أمام الإخوان الآخران ، ولأن الآخرين كانوا قد سمعوا عن أموراً أكثر ...

أرجو أن تلاحظوا هنا كيف صور لنا فقر يعقوب ويوحنا بدقة (فإنهما كانا يخيطان شبا كهما) .. أى أنهما لم يكونا قادرين على شراء شباك جديدة !! .. ولكنهما كانا يتمتعان بعدة فضائل أخرى ... لقد إكتسبوا مع الفقر الأمانة فى العمل والتعاون فيه ...

قوة الله :

ثم بدأ يسوع فى عمل المعجزات أمام اليهود ، لكى يثبت لهم صحة ما قاله عنه المعمدان ، وإنه ليس معانداً لله أو خادعاً ، بل هو الآتى حسب مشيئة الآب !!

فالله فعل المعجزات قديماً ليظهر قدرته وإقتداره ، من أجـــل تثبيت كلمته ووصاياه ، فهو فى البدء خلق العالم كله ، لكى يحفظ الإنسان شريعته ... وعندما جدد الخليقة أيام نوح ، ثبت وصاياه بتخليصه إياه من الغرق ، وبتجديد كل العناصر ... وفى أيام أبراهيم آراه قوته بنصرته فى الحرب ، وفى ضربته لفرعون ليخلصه من الأخطار ...

وأمام بنى إسرائيل أراهم قوته وذراعه القوية ، قبل أن يعطيهم الشريعة ، فهنا أيضا قبل أن يعطى شريعة العهد الجديد ، كان لابد أن يظهر قوته وإقتداره وعظمته بعمله المعجزات ؛ حتى يمكن للناس أن يروا ملكوته غير المرئى ، من خلال أعماله المرئية الظاهرة . . .

وهكذا يعلن البشير أنهم أحضروا إليه المرضى والمعذبين بأمراض مختلفة ، المصروعين والمفلوجين والمجانين فشفاهم جميعا[1]) .

ولكن السؤال الذى يثار هنا : كيف أنه لم يسأل كل واحد فيهم، هل تؤمن إنى أقدر أن أفعل هذا ؟

١ — ذلك لأنه لم يكن قد أظهر برهان قوته .

٢ — وكما أن حضورهم إليه يتضمن إيمانا ضمنيا بعظمته وقدرته .



---

(١) — (مت ٤ : ٢٨) .

والآن دعنا نتبع ذلك ، لأن أرواحنا مرضى بأنواع أمراض كثيرة .. لنأتى إليه ، ولا نطلب منه شيئا خاصا بهذا العالم لأن صيته قد وصل إلى أقصى الأرض ...

ألا توجد عندك الرغبة لكى تأتى إليه ؟

ألا تنطلق ذاتك وتجرى نحوه لكى يشفيك من أمراضك الجسدية والروحية ؟ ألا تعلم أن كل الأمراض سببها الخطية ؟ .. وإنه إن شفانا من خطايانا تشفى أمراضنا !!



هل تأتى إليه ؟

محتويات الكتاب

الصفحة

المراجع الرئيسيّة

+ الكتاب المقدس

The writing of : The Nicede and post Nicene Fathers, First series, St. J. Chrystom.

مطبوعات

لجنة الثقافة القبطية
بكنيسة الملاك ميخائيل بطنطا

أولا — من أقوال الآباء :

	قرش	
١ — تأملات فى الصلب والقيامة والصعود . . . للقديس يعقوب السروجى	٩	نفذ
٢ — تأملات فى البشارة والتجسد الإلهى . . . لمشاهير الآباء القديسين	٥	نفذ
٣ — الملائكة . . . . . . لمشاهير الآباء القديسين	١٢	نفذ
٤ — تأملات فى البشارة والتجسد الإلهى . . . للقديس يعقوب السروجى	٥	نفذ
٥ — الروح القدس . . . . . . لمشاهير الآباء القديسين	٥	نفذ
٦ — تأملات فى حياة المسيح . . . . . (خدمة الهيكل — عماده — صومه — تجربته) للقديس يعقوب السروجى	٥	نفذ
٧ — المعانى الروحية لأسبوع الآلام . . . . لمشاهير الآباء القديسين	٤	نفذ
٨ — تأملات فى انجيل القديس متى . . . . . للقديس يوحنا ذهبي الفم	١٤	

قرش

٩ — الصوم المقدس ٤
لمشاهير الآباء القديسين

ثانياً — مطبوعات قداسة البابا شنودة الثالث :

١ — الغضب . . . . ٧ نفذ

٢ — لطف الله . . . . ٤ »

٣ — الإتضاع . . . . ٣ »

٤ — مخافة الله . . . . ٣ »

٥ — عناية الله . . . . ٣ »

٦ — محبة الله . . . . ٣,٥ »

٧ — الكتاب المقدس . . . . ٣ »

٨ — السجل التاريخى للقداسة البابا شنوده . . . . ٤٠ »

ثالثاً — مطبوعات أخرى :

١ — دراسات فى انجيل القديس يوحنا (الجزء الأول) ١٠ نفذ
الدكتور موريس تاوضروس الأستاذ بالإكليريكية

٢ — مجلة رسالة الكنيسة . . الإشتراك السنوى ٥٠
مجلة شهرية تصدر فى عشرة أعداد

٣ — البابا أثناسيوس الرسولى ١٨

